IUGJEPS
Vol 28, No 1, 2020, pp 67 -84

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2018-09-16)، تاريخ قبول النشر (2018-11-19)

الفكاهة في صور وخواطر الطنطاوي: دراسة موضوعية وفنية

اسم الباحث: ندى بنت صالح أبا الخيل * 1

1 اسم الجامعة والبلد: أستاذ الأدب المساعد، ووكيلة كلية المجتمع بحريملاء

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Nad210@yahoo.com

الملخص

اهتمت هذه الدراسة بالكشف عن الفكاهة في صور وخواطر علي الطنطاوي، ذلك العالم الذي خلف وراءه ورثًا أدبيًا وثقافيًا ممتدًا، وفي إطار هذا التنوع الأدبي لطنطاوي، قامت الباحثة برصد وتحليل مؤلفاته، لتحديد صور وأنماط الفكاهة في هذه المؤلفات، وتمثّل الفكاهة عنصراً مشتركاً في تناول كل القضايا التي تسيطر على اهتمام الطنطاوي، حيث إن من أبرز الدلائل والعلامات على حبّ العربي لهذا النوع من الأدب الشيق والممتع، هو وجود فن المقامات الذي يقوم في جلّه على الطرفة والفكاهة وسرد أخبار وطرائف الاستجداء، والكد والطلب.

وينقسم البحث إلى تمهيد وفصلين وخاتمة، حيث تناول التمهيد التعريف بالطنطاوي ونشأته وأعماله ووفاته، وتناول الفصل الأول تعريف الفكاهة لغة واصطلاحا والفرق بين الفكاهة والسخرية والتعرف على الفكاهة المستحسنة ودوافع الفكاهة عند الطنطاوي، كما تناول الفصل الثاني الفكاهة في التراث العربي وأنواعه وتراكيبه وصياغته، وكذلك تناولت الباحثة خصائص الفكاهة عند الطنطاوي وتأثيرها عند القارئ، واستخلصت الباحثة أن الحس الفكاهي لدى الطنطاوي جاء من طبع وتطبع، فآزر كل منهما الآخر.

كلمات مفتاحية: الفكاهة - صور وخواطر - الطنطاوي.

Humor in pictures and Sakes Tantawi

Abstract:

This study focuses on the detection of humor in the images and Sakes of Ali Tantawi, the scientist that has left behind a long literary and cultural heritage. In the context of this literary diversity of Tantawi, the researcher has monitored and analyzed his writings to identify images and patterns of humor in these works. The issues that dominate the interest of Tantawi, as one of the most prominent signs and signs of Arab love for this kind of literature interesting and enjoyable, is the existence of art Almqamat which is based on ignorance and humor and narrated news and riddles, and demand.

The research is divided into two parts and two chapters. During the preparation of the definition of Tantawi, its origin, its work and its death،

The first chapter deals with the definition of humor, language and terminology, and the difference between humor, ridicule, understanding of the recommended humor, and the motives of humor in Tantawi. The second chapter also discusses the humor, types, The researcher examined the characteristics of humor in Tantawi and its impact on the reader. The researcher concluded that the sense of humor in Tantawi came from printed and printed, each other's .

Keywords: Humor - pictures and Sakes -Tantawi.

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد:

عند الوقوف على الدراسات التي بحثت في الفكاهة، نجد أن هذا الموضوع الشيّق لا يزال بحاجة إلى مزيد دراسة وبحث وتحليل.

ولعلّ هذه الدراسة تأتي ملبية لشيء مما تحتاجه الساحة الأدبية والنقدية والبحثية.

وقد وقع اختياري في تلك الدراسة على كتاب صور وخواطر الشيخ علي الطنطاوي، لتقديم ما لم يتم تقديمه من خلال دراسات أدبية سابقة، وإن كانت تلك الدراسات قد تناولت جانبا من جوانب هذه الدراسة ولكن ليست دراسة متخصصة في كتاب بعينه وهو كتاب: صور وخواطر؛ وإنما جاء الحديث على سبيل المثال في كتاب: (علي الطنطاوي كان يوم كنت)[1] عاما شاملا للفكاهة عند الطنطاوي، وليس محددا لكتاب بذاته.

من هنا جاء اختياري لهذا الموضوع لهذا السبب، أضف إليه أسباب أخرى أوجزها في الآتي:

1- الأديب علي الطنطاوي أديب عربي نشأ وترعرع في جنبات هذا الوطن العربي الممتد، ما بين سوريا ومصر والعراق... وغيرها، ارتبط اسمه بوفائه لأبناء العروبة المسلمين، الذين تربطه بهم أواصر الدين واللغة والثقافة والأدب.

2- الطنطاوي كاتب واقعي لا يكتب عن عالمه المتخيّل وإنما عمّا يراه ويقع أمامه من أحداث ومواقف.

3- لم ينل هذا الأديب حقّه من الدراسة رغم ما تحفل به كتبه من جمال السبك وقوة التأثير ورقي الأسلوب.

4- أكثر الدراسات في هذا العصر تدور حول الشعر وبين عالمي القص والرواية، إذ أن حظّ المقالة والّسير والذكريات، لا يزال يسيرا.

5- ما تقدّمه هذه الدراسة من تصور دقيق لما كانت عليه الحياة الاجتماعية آنذاك.

وقد اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج التكاملي الذي يخدم صميم البحث، ما بين الوصف والتحليل، مستندة إلى المنهجين التأريخي والاجتماعي- كل اتبعه حسبما تستدعيه الدراسة.

كما أن المنهج الانتقائي كان له حضوره في اختيار النصوص الاستشهادية التي قمت بعرضها ودراستها.

وقد أتممتُ هذه الدراسة ولله الحمد والمنّة مذيّلة إياها بالنتائج والتوصيات، التي أسأل الله تعالى أن ينفع بها هو ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلّم على عبده ونبيه محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

التمهـــــــيد

أولًا: اسمه ومولده وتعليمه:

هو "علي بن مصطفى بن أحمد الطنطاوي، وُلد في يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة 1327هـ[1]".

وأصله من "طنطا بمصر كما ذكر هو ذلك في ذكرياته[2]".

أما بالنسبة لتعليمه فقد مكّنه الله تعالى من تعلّم القراءة والكتابة باللغة العربية، وقيّض له من المعلمين من سعى في تدريسه الإنشاء العربي، فتدرج في نيل العلم إلى أن "تخرج في كلية الحقوق وكانت تسمى آنذاك (معهد الحقوق) عام 1933م[3]".

ثانيا: أعماله:

صار علي الطنطاوي موظفا في الحكومة " سنة 1931م[4]"، وقد تقلّد الطنطاوي عدة وظائف منها "التدريس والقضاء[5]".

---

(1) لمؤلفه أحمد آل مريع.

(1) ينظر: ذكريات علي الطنطاوي، (ج1/ 174) بتصرف يسير.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 186. بتصرف يسير.

(3) ينظر: ذكريات علي الطنطاوي، (ج1/60). بتصرف يسير.

ثالثًا: وفاته:

توفي علي الطنطاوي في : 18- يونيو- 1999م، الموافق: 4- ربيع أول- 1420ه، بعد حياة حافلة بالعطاء والدعوة إلى الله.

رابعًا: آثاره:

مات الشيخ الطنطاوي مخلّفا وراءه ورثًا أدبيًا وثقافيًا ممتدًا، يشهد له بذلك ما تركه بعده من : محاضرات وندوات ومكاتبات وخطب ورسائل ومقالات وأحاديث إذاعية وبرامج تلفزيونية، وما تلك المؤلفات المنسوبة إليه إلا شاهدًا على سعة اطلاعه وكثرة قراءاته.

فمن بين مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر:

1- صور وخواطر 1958م
2- من حديث النفس 1960م
3- مع الناس 1960م
4- في سبيل الإصلاح 1959م ... وغيرها.

وتلك بعضًا من الكتب التي خلّفها يراع الشيخ علي الطنطاوي، حسب صدور الطبعة الأولى منها.

وقد قيل فيه من الثناءات ما قيل، من ذلك ما قاله عنه الدكتور عبد العزيز الخويطر[1]:" الشيخ علي الطنطاوي رجلٌ محبوب، يدخل القلوب دون استئذان، لما مَنّ الله به عليه من خفة الروح، وما حباه به من سماحة النفس وغزارة العلم، وفصاحة اللسان، والبصيرة الثاقبة في أمور اللغة والبلاغة والأدب...[2].

فقد كان الطنطاوي -يرحمه الله- شخصية فذّة محبوبة مقبولة لدى جلّ الناس، والناس لا شك أنهم شهداء الله في أرضـــــه.

الفصل الأول:

المبحث الأول:

1- الفكاهة لغة واصطلاحا

2- الفرق بين الفكاهة والسخرية

المبحث الثاني:

1- الفكاهة المستحسنة

2- دوافع الفكاهة عند الطنطاوي

(4) ذكريات علي الطنطاوي، (ج3/ 191).

(5) ينظر: ذكريات علي الطنطاوي، (ج5/ 17 و 86 و137). بتصرف يسير.

(1) هو معالي الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، من مواليد عنيزة في القصيم، عام 1345هـ، تدرج في تعليمه إلى أن حصل على شهادة الدكتوراة في التاريخ، من المملكة المتحدة عام 1390هـ، وباشر العمل الرسمي منذ أن تخرج عام 1380هـ، وتدرّج في المناصب الحكومية إلى أن استقر به المقام وزيرا للدولة وعضوًا في مجلس الوزراء، حتى وافاه الأجل يوم الأحد 26-7-1435هـ، ينظر: الزيد، من روادنا التربويين(188) بتصرف يسير.

(2) آل مربع، علي الطنطاوي كان يوم كنت، (11).

المبحث الأول:

1- الفُكاهة لغة واصطلاحًا:

أ/ الفُكاهة لغة:

وردت مادة (ف.ك.ه) في المعاجم العربية، وارتبط معناها اللغوي بالفاكهة المعروفة من عنب ورمان ونحوها.

ولكنّ المعنى الذي يعنينا هو:" وفَكَّهَهُم بمُلَح الكلام: أطْرَفَهُم، والاسم: الفَكِيهَة والفُكَاهَة،.... والفُكاهَة، بالضمّ: المِزاح[1]".

فمُلح الحديث وطريف الكلام، يجلب الأنس للنفس، كما يجلب تناول الفاكهة السعادة والسرور ويطيب بتناولها الجسد.

ب/ الفُكاهة اصطلاحًا:

عند البحث عن التعريف العلمي الاصطلاحي للفكاهة، لم أجد التعريف الشامل والدقيق في ذات الوقت، إلا أن أكثرها دقة في التعريف، " ملحة، طرفة، نكتة، حكاية هزلية قصيرة، سرد أو وصف أو قصة عن شخص أو حادث[2]".

وتتنوّع الفكاهة بتنوع ظروف الحياة وأشكالها، وهي ليست حكرا على شخص دون غيره أو موقف دون سواه.

كما أنها لا تقف عند طبقة دون طبقة، بل هي متغلغلة في كل طبقات المجتمع من طبقات عالية ومثقفة أو طبقات بسيطة شعبية تحكي معاناتهم وهمومهم.

وبذلك تكون الفكاهة شكل من أشكال الأدب التي تروّح عن الناس وتقذف بهمومهم وأعبائهم بعيدا عنهم؛ فحاجة النفس إلى الترويح والإمتاع وجذب الراحة والسرور إليها؛ ليتجدّد النشاط و تنبعث الهِمم من جديد.

" فإننا نجد في المواقف الفكاهية –على اختلاف أنواعها– لهوا يبعد الإنسان عن الحياة الواقعية الجادة، بل وينقله إلى عالم التفكه والدعابات والتوريات والألاعيب، فكأنه في حلم من الأحلام السعيدة[3]".

وأكرم بالفكاهة التي لا تخرج عن المقاصد الاجتماعية وميدانها وهو النقد والإصلاح الاجتماعي، بعيدا عن نقد الأشخاص وتجريحهم.

وليس من شكّ في أن الفكاهة كُتبت شعرا ونثرا على مر الأزمان والعصور، ولكنها في النثر أكثر تفوقا – وبخاصة في هذه الفترة التي نعيشها– ولعل السبب في ذلك يعود إلى التقدم التقني والحضاري، والانفتاح الذهني، كما أن طبيعة الكتابة النثرية أكثر طواعية وانسيابية لدى كثير من الكتّاب.

2- الفرق بين الفكاهة والسخرية:

ما من شكّ في أن الفكاهة مهارة تواصلية لا بد لها من ذكاء وفطنة يرفدانها؛ ويعززان من شأنها ويصلان بها إلى هدفها، والعربي بحكم ما أوتي من ملكة الفطنة والنباهة والبلاغة وحسن البيان، توافرت لديه العديد من مقومات تلك المهارة .

فـ"العقلاء من الناس يدركون أن الفكاهة مهارة من أهمّ المهارات التواصلية التي ينبغي تعلّمها والتحكم فيها وإتقانها في مختلف الوضعيات التواصلية، ومن طبيعة الحال ينبغي معرفة القواعد الأساسية لاستخدام الفكاهة في التواصل[1]".

ومن هنا حرص مجموعة من الأدباء على تعزيز كل ما بإمكانه أن يجعل من الفكاهة مُلحا تروح عن النفوس وتحبّبهم بالقراءة دونما ملل أو كلل.

فها هي قرائح الكتّاب تنثال بكل ما يبعث على تعديل مزاج القارئ ويكشف عن خفة روح الأديب، ففي كثير من العصور الأدبية نجد أن كثير من الأدباء " يعنون باختيار الألفاظ عناية كبيرة، ويحتفون بالعبارة وتركيبها، وخاصة حين يميلون إلى

(1) ابن منظور، لسان العرب، (5/ 3453).

(2) نصّار، المصطلحات الأدبية، (245).

(3) قزيحة، الفكاهة، (89).

(1) أحمد الشايب وآخرون، أبحاث في الفكاهة، (207).

الفكاهة والمداعبة، فتفيض رسائلهم بالتجارب الشخصية، والأحداث الواقعية، إذ يبدأ الكاتب منهم كتابته على صورة رسالة، ولكنها ما تلبث أن تنقلب قصة أو عدة قصص، تنضح بالعبث والفكاهة[2]".

من هنا نعلم بأن الفكاهة فن كتابي مرغوب، لا يمسّ الانتقاص من شخص بعينه واسمه، ولا يبعث الكره والحقد والحسد في النفوس، فهو أجلّ من ذلك .. هدفه الإصلاح والنقد الاجتماعي، وتقويم العيوب الخُلُقية، التي لا تخلو منها ذات بشرية.

وليس غريبا حين نقول بأن العيوب الخُلُقية كلّها مدعاة للضحك وجالبة للفكاهة، ولكن حين يجيد الكاتب عرضها، فيجعل القارئ يحدّث نفسه هل هذا العيب فيه أم أنه بريء منه، وإن كان هذا العيب فيه كيف يعمل على الخلاص منه والنجاة؟!

"وقلما نجد إنسانا كاملا، حاليا بالفضائل الخلقية التي تعارف عليها مجتمعه، وحض عليها دينه وقانونه، غير أن الناس يختلفون في نصيبهم من العيوب، ويختلفون في نوع العيوب، بحيث يقرب بعضهم من الكمال، ويسف بعضهم إلى الحضيض، بل إن الشخص الواحد قد تختلف عيوبه في شبيبته عن عيوبه في كبرته، وتختلف عيوبه في وطنه عن عيوبه في غربته...[3].

ولكن السخرية أمر نهانا عنه ديننا الحنيف، فيها انتقاص وازدراء وشحن للنفوس، فهي تصدر عن نفس واجدة تعمد إلى التجريح والتشهير والانتقاص؛ وديننا أسمى من أن يجعل أتباعه كل ينتقص الآخر ويهزأ به.

فبالنسبة للسخرية جاءت في المعاجم بمعنى: الهزء، فـ " سَخِر منه وبه كفَرِح، سَخْرا وسَخَرا وسُخْرة ومَسْخَرا وسُخْرا وسُخُرا : هَزِئ...[1]".

أما في اصطلاح بعض النقاد، فهي :"أسلوب أدبي يستعمل النقائض لإحداث أثر بلاغي، أو هزلي[2]"، فهو لا يخرج عن الاستهزاء والهزل والانتقاص.

رُغم أن هناك بعض النقاد ودارسي الأدب، يستعمل أحد المصطلحين للدلالة على الآخر، وليس أدلّ على ذلك من قول أحدهم: " لذا حاولنا استخدام مصطلح (الفكاسخرية) في دراستنا– للدلالة عليهما معا، وعلى ما تثيرانه من ضحكات أو ابتسامات، أو آلام ومرارات في إطارهما الامتاعي المضحك أو النقدي الإصلاحي أو التقويمي أو التطويري للمجتمع وهو مصطلح جديد ... يتكون من حروف الكلمتين معا الفكا... هي والـــ ... سخرية[3]".

وفي رأيي الشخصي أنّ ما سبب ألما وكان لشخص بعينه معروفا فهو سخرية، أما ما كان عاما ولا يصل بالمتفكه منه إلى حد الاحتقار والازدراء والانتقاص من قيمته إما بالسخرية من خِلقته أو ما شابه ذلك من فقر أو عاهة قد أُبتلي بها، وكان الهدف منه النقد والتقويم والإصلاح فهو فكاهة –بلا أدنى شك.

وإن كانت الفكاهة مطلبا فإن لها شروطا وقواعد تجعل منها فنا مستحسنا لا تمجّه الأذواق أو تنفر منه، وهو ما سأعرض له في المبحث التالي – بإذن الله تعالى.

(2) خريوش، أدب الفكاهة، (45).

(3) الحوفي، الفكاهة في الأدب، (218).

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (519).

(2) نصّار، المصطلحات الأدبية، (155).

(3) خليفة، فن الفكاهة والسخرية، (16).

المبحث الثاني:

1- الفكاهة المستحسنة:

ليس كل ما أضحك يستحسنه الناس، وليس كل زمان أو مكان يصلح للتفكّه، فالظروف تحكـــم والأشخاص تتفاوت في درجات التقبل والفهم والإدراك، فما أفهمه دعابة قد يفهمه غيري سخرية مرّة يأباها ذوقه وعقله.

ولذا يتحتم عليّ في هذا المبحث أن أضع بين يدي القارئ خصائص الفكاهة المستحسنة التي يتقبلها الناس، بل وتروّح عن نفوسهم وتذهب بالسأم والملل، وهي كما يلي:

أ/ الواقعية: لن تكون الفكاهة ذات دور فاعل حين تكون متخيلة ليستْ على أرض الواقع، بل إن الفكاهة الواقعية التي تنقل أحداثها لنا عن طريق الرواية التصويرية التي تستحوذ على الشعور وتبعث المرء على استجلاب المتعة والسرور.

ب/ الاحتشام: للقارئ مكانته واحترامه، وليس من الذوق أن أجرح ذائقته بما تمجّه الأذواق السليمة سواء من الصور أو العبارات التي قد تخدش الحياء أو تبعث الضجر مما يتفكّه به الكاتب – وبخاصة – أننا نعيش في مجتمع عربي محافظ تحكمه تعاليم الدين الحنيف.

ج/ عدم المبالغة: لا شكّ أنّ المبالغة في أي أمر تخرج به عن القبول وتدفع المرء إلى الصدود عنه وعدم الأخذ به، فضلا عن الاستمتاع فيه.

د/ القصر والبعد عن التركيب: العربي جُبل بفطرته على حبّ البساطة والوضوح والبعد عن التعمية والضبابية التي تجعل المتلقي يعيش بين الظنّ والتخمين، ويشغله ذلك عن وحدة الشعور وجميل الانطباع.

كما أنه بفطرته ذكي لا يحتاج إلى الشرح والإطالة، فلطالما فُهم المقصود بعبارات موجزة قصيرة، ووصل الكاتب إلى مراده بإلماحات سريعة خاطفة.

هـــ/ المناسبة للزمان والمكان: تختلف الظروف باختلاف الأزمنة والأماكن، فما يستحوذ على اهتمام الناس في زمن ما قد لا يروقهم في زمن غيره، وما يؤثر فيهم في مكان ما قد لا يؤثر فيهم في مكان غيره.

وتلك طبيعة الحياة وطبيعة الإنسان، إذ أنّ الفكاهة التي تعجبك في مكان أو زمان ما، قد لا تروقك في زمان أو مكان آخر.

فالفكاهة التي تتلمس اهتمامات الناس وظروفهم، هي التي يكتب لها البقاء والنجاح.

و/ البُعد عن تعيين الأشخاص بأسمائهم أو ألقابهم، فالأديب الحاذق هو اللّماح الذي يكون أبعد ما يكون عن التقريرية والمباشرة.

ز/ العفوية: فالبعد عن التكلف في إدراج الفكاهة وصياغتها مطلب أساس؛ حتى تلامس القلوب وتأنس بها النفوس، وتطيب بذكرها المجالس.

في حين أنّ التكلف يذهب بروح الطرفة ويلبس الفكاهة وجها شاحبا مقيتا لا يمتّ للإمتاع بصلة.

ح/ وأخيرا لا بدّ من التأكيد على رسم الصورة (الفوتوغرافية) الـــ (كاركتورية) الحيّة التي تنقل الفكاهة للقارئ وكأنه يراها رأي العين – وهنا تظهر براعة الأديب وما يتمتع به من ذكاء وفطنة وحسّ فكاهي جذاب.

وفي نظري يظلّ قرب الأديب من قرائه وتواضعه لهم وتلمّس احتياجاتهم واهتماماتهم، من أبرز وأهم أسباب البقاء للعمل الأدبي أيًّا نوعه.

2- دوافع الفكاهة عند الطنطاوي:

مما لا يخفى أن الأديب علي الطنطاوي تربطه أصول مصرية – كما مرّ معنا في نسبه، ومعلوم أن العرق المصري ميّال إلى الطرفة والنكتة، أضف إلى ذلك تأثره بالجاحظ (159– 255هـ)، والجاحظ ذو ملكات متعددة من أبرزها الإشراقة البيانية، وسمة الدعابة والمرح والقدرة على الوصف والتحليل النفسي.

وفي نظري أن أهم ما دفع الطنطاوي للصياغة الفكاهية في العديد من كتاباته، هو (الإصلاح الاجتماعي) " ويعدّ النقد أو الإصلاح الاجتماعي من الدوافع الأساسية للفكاهة[1]" وتلك حقيقة لا نزاع فيها، ولكن أين من يجيد الكتابة الفكاهية الناقدة؟!

ولا بد للأديب – الطنطاوي – من دوافع أخرى دفعته إلى الكتابة الفكاهية في كثير من المواقف التي مرّ بها الأديب وأجاد في نقلها وتصويرها، ولعلّي فيما يلي أعرض لأبرز الدوافع التي مكّنت الطنطاوي من الإبداع في هذا المجال:

1- تفاوت الطبقات الاجتماعية التي عايشها الكاتب؛ حيث جعلت منه شخصا مطلعا على الكثير من التناقضات في الكثير من الطبائع والأهواء والتصرفات التي قد تكون غريبة وفي غير محلها –بعض الأحيان!

2- قوة الملاحظة وعميق الإدراك وقبل ذلك حدة الذكاء وسعة الخيال.

3- الانفتاح الذي أحدثه المستعمر الأجنبي والنقلة السريعة التي طالت طبيعة الحياة آنذاك.

4- كثرة أسفاره وتنقلاته، أضف إلى ذلك قراءاته وثقافته التي أكسبته الكثير من القصص والأخبار والمواقف.

5- المهارة في سبك الحوار وبناء الأحداث في تسلسل منطقي أخاذ.

6- ثم إن المهارة في ربط ما يمرّ به من أحداث ومواقف، والخروج منها بكثير من الرؤى والقناعات التي تعزّز كتاباته.

والمطلع على برامج الأديب –الطنطاوي (التلفزيونية) يلمس ما كان يتمتع به الأديب من حسّ عفوي فكاهي يمقت التزمت الجاد في كل مناحي الحياة.

وفي الصفحات القادمة – بإذن الله –سأعرض للفكاهة في تراثنا العربي وأنواعها، ودراسة لتركيبها وصياغتها، والأفكار التي تحملها.

الفصل الثاني:

المبحث الأول:

1- الفكاهة في التراث العربي.

2- أنـــــــــــــــــــــــــواع الفكـــــــــــــــــــــــــاهة.

3- مـــــــــــــــــــــــــوضوعـــــــــــــــــــــــــاتهـــــــــا.

4- الفكـــاهة تركـــيبًا وصياغة.

5- الفكـــــــــــــــــــــــــــــاهة والفـــــــــــكـــرة.

المبحث الثاني:

1-خصائص الفكاهة عند الطنطاوي.

2-تـــــأثيـــــــــــــــــــــــــــــرها في القـــــــــــــــــــــــــــــــارئ.

(1) السطوحي، السخرية في الأدب، (56).

المبحث الأول:

1-الفكاهة في التراث العربي:

الفكاهة ضرب من ضروب المرح والنكات، وللقصص الفكاهية من نوادر وطرائف ومُلح، "مكانة هامة في حياة العرب وتراثهم، وقد عرف العرب هذا اللون من الأدب كباقي أمم الدنيا منذ فجر تاريخهم، وكان ينقل بشكل شفهي بين عامة الناس في أسواقهم ومجالسهم ونواديهم وسمرهم..."[1].

ولست هنا بصدد عرض ما كان عند العرب من طرائف وفكاهات ازدانت بها الكثير من مجالسهم ونواديهم، ولكن من أبرز الدلائل والعلامات على حبّ العربي لهذا النوع من الأدب الشيق والممتع، هو وجود فن المقامات الذي يقوم في جلّه على الطرفة والفكاهة وسرد أخبار وطرائف الاستجداء، والكد والطلب.

كما أنّ ما نُقل إلينا من أخبار الأدباء العرب وتحديدا في الأندلس؛ يؤكد حبّ الأندلسيين للترويح عن قلوبهم، ومداعبة أقرانهم، بما يبعث الراحة والسرور لنفوسهم، فهم لا يرون في حياتهم إلا جانبها المشرق، وعوّدوا نفوسهم على تلك النظرة الجميلة للحياة، فهم "لا يجدون غضاضة في التعبير عن فرحهم ولهوهم رغم تقدم بعضهم في السنّ، أو تقلدهم وظائف رفيعة في الدولة، بل إننا نجد روح المرح عند الأمراء والفقهاء والقضاة وسائر طبقات الشعب الأندلسي"[2]، حيث لا ينكر الدارس للأدب ما عُرف به الأندلسيون من روح الفكاهة التي تداعب أجواءهم الإخوانية شعرا ونثرا، فقد برعوا في هذا المجال براعة نقلتها إلينا كتب الأخبار والأدب.

أضف إلى ذلك ما تفكّه به بعض الكتّاب العرب الذين عرف عن بعضهم الجدّ، أمثال ابن قتيبة (213-276هـ) في (عيون الأخبار)، وابن حيّان التوحيدي (310- 414هـ) في (الإمتاع والمؤانسة)، فضلا عما أفرده بعض الكتّاب من كتب جلّها قائمة على الفكاهة أمثال الجاحظ (159- 255هـ) في كتابه (البخلاء)، وابن الجوزي (508- 597هـ) في كتابه (الظراف والمتماجنون)... وغيرهم.

2-أنواع الفكاهة:

عندما نمعن النظر فيما بين أيدينا من فكاهات، فإننا نجدها واحدة من ثلاثة أنواع، وهي كالتالي:

أ/ ما يسمعه الراوي أو يقرأه في الكتب:

حيث يسمع الكاتب بالفكاهة أو الطرفة، فيرويها لقرائه ومتابعيه، أو يكون قد قرأها وعاش أحداثها إطلاعا وقراءة فيرغب بنقلها ملبسا إياها شيئا من أسلوبه وطريقته في السرد.

ب/ ما يراه الكاتب أمامه ويعايش أحداثه:

حيث ينقل الكاتب الفكاهة التي عايش أحداثها ورآها ماثلة أمامه بكل تفاصيلها، فيسردها كما رآها لقرائه، متوّجا إياها أسلوب الفكاهة والدعابة.

ج/ ما يقع للكاتب ذاته:

حيث يكون الناقل -الكاتب- بطلا في تلك الفكاهة وأحد شخوصها، حيث وقعت له وقام بسردها مبيّنا أدقّ تفاصيلها، حيث هو أحد الشخصيات التي مثّلت دورها الفكاهي.

وغالبية القراء يجد المتعة في قراءة الفكاهات التي يكتبها أصحابها، حيث التصوير الدقيق، والمشاعر الصادقة التي تنفكّ عن صاحب النكتة أو الفكاهة.

3-موضوعـــــــاتها:

(1) أحمد الشايب وآخرون، أبحاث في الفكاهة، (198).

(2) قزيحة، الفكاهة في الأدب الأندلسي، (90).

تتعدد موضوعات الفكاهة حسب الهدف الذي أُنشئتْ من أجله، ويمكن تصنيف موضوعات الفكاهة حسبما يلي:

أ/ الفكاهة الترفيهية: وتلك الفكاهة تأتي؛ لأجل الإضحاك والترفيه وحسب، هدفها الترويح عن الأنفس وإضفاء أجواء من الضحك والسرور الذي يذهب بأعباء النفس ويجدد نشاطها.

ب/ الفكاهة النقدية: وهي الفكاهة التي من أجلّ أهدافها النقد والتقويم للعيوب والمتناقضات التي يعاني منها الأفراد في مجتمعاتهم.

وهي ذات هدف إصلاحي مباشر وغير مباشر – في بعض الأحيان، حسبما يراه الكاتب ويميل إليه ويرى أنه الأصلح والأنجع في النقد والتقويم.

ج/ الفكاهة التعليمية: وهنا يكون الهدف من الفكاهة هو النقد والتقويم للمتعلم، أو من يريد اكتساب مهارة معينة، كما هو مشاهد – أحيانا– فيما يقدّمه بعض النقاد أو اللغويين من فكاهات يقصدون من خلفها تصويب الخطأ والتحذير من الوقوع في مثله.

4–الفكاهة تركيبًا وصياغة:

لابد لصياغة الفكاهة من حسّ مرهف طريف، وذكاء وقّاد وخفة ظل، وقدرة على رسم المتناقضات بصورة محبّبة للنفوس.

ولن تبلغ الفكاهة الهدف من صياغتها بتركيب معقّد متوشح بالغموض ومدعاة للفرضية والتأويل؛ بل إن تركيب الفكاهة المحبّب للنفس هو ذلك التركيب السهل البسيط الكاشف اللمّاح؛ إذ التعقيد ليست الفكاهة مجالا له.

وكلما كانت الفكاهة ملمّلمة للموضوع ومسلّطة أضواءها على الحدث الأم، ومركّزة على الموضوع بتمام تفاصيله، كانت إلى النجاح أقرب وإلى التأثير وملامسة الشعور أدنى.

ومهما عُرف عن الكاتب حبّه وميله للاستطراد ينبغي عليه الحذر منه في مجال التراكيب الفكاهية لأنها تراكيب لا يحسن فيها الاستطراد فضلا عن الإطالة فيه؛ لما في ذلك من تشتيت الفكر وبعثرة الموقف.

إلا ما كان لابد منه وليس عنه مفر، كتعزيز لموقف أو تأكيد على حدث لا يحسن المرور عليه مرور الكرام، إذ أن التأكيد عليه والوقوف عنده مطلبا مهما وضرورة مُلحّة.

5– الفكاهة والفكرة:

الفكرة هي الموضوع الذي يبنى العمل الأدبي من أجله، وهي أساس النجاح لأي فن من فنون الأدب، ولابد لها من توفر عدة مقومات؛ تجعل منها فكرة ذات مقاييس فنية عالية:

أ/ صحة الفكرة وبعدها عن التناقض.

ب/ امتزاجها بالشعور والعاطفة.

ج/ وضوحها، من خلال اللغة التي تعبر عنها وتراكيبها التي تفصح عن مضمونها.

د/ الدعم والتعزيز بالأدلة الوجدانية والعقلية، المستمدة من العاطفة والثقافة والخيال.

ه/ الجِدّة والابتكار، فالنفس تأبى التقليد والتأثر بالغير.

و/ انسجام الفكرة مع القيم الإنسانية يجعل منها أكثر واقعية وقبولا.

وكل ما مضى من مقومات هي اللُّب وأساس الهيكل الحقيقي للعمل الأدبي، وإذا كانت في مجال الفكاهة لابد من تتويجها بروح فكاهية طريفة.

المبحث الثاني:

1- خصائص الفكاهة عند الطنطاوي:

عند النظر في فكاهة الطنطاوي في كتابه (صور وخواطر) أجد أنها امتازت بعدد من الخصائص التي جعلتْ منها فكاهة محبّبة للنفس وتحمل في طياتها كثيرا من الإبداع وروح الابتكار، أستطيع من حيث:

أولًا/ موضوعاتها:

تعدّدتْ موضوعات الفكاهة عند الطنطاوي، حيث كان كل ما وقع عليه بصره من متناقضات وغرائب يصلح لأن يكون موضوعا للفكاهة، فموضوعاته ليستْ ذات حدود، إذ أنّ همه الأول والأخير هو " إعادة هذه الفئات المنحرفة إلى حظيرة المجتمع السوية، وتكون أيضا في نفس الوقت أداة تطهيرية وتأديبية لهم، ولكل من يحاول العبث بقيم المجتمع ومثله[1]".

ومما ساعد الطنطاوي على النجاح في فكاهته إدراكه أن "الفكاهة تحتاج إلى الخبرة بالمجتمع والدراية بأحواله، والمعرفة بحاجاته الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتمييز واقعه من خلال معايشة فئاته وطبقاته المختلفة[2]".

فمثلا من موضوعاته:

1- أعرابي في حمام:

حيث يروي عن الأعرابي الذي ذهب ولأول مرة في حياته للحمام، فيقول: "... وإذا برجل ... قد تأبط ليفا غليظا يا شرّ ما تأبط، وحمل ماعونا كبيرا، يفور فورانا، فاسترجعتُ وعلمتُ أنه السمّ وأنه سيتناثر منه لحمي، فقصد إليّ، فجعلتُ أفرّ منه وأتوثّب من جانب إلى جانب وهو يلحقني ويعجب من فعلي، ويظنّ أني أداعبه، وصاحبي يضحك ويقسم لي أنه الصابون، وأنه لا ينظف شيء مثله...[3]".

فبمثل هذه الصورة الحيّة ينقل لنا الكاتب حال هذا الأعرابي في الحمام وكيف أنه خائف ووجل من كل شيء أمامه، حيث يصيبه الرعب ممن حوله ويشك بأنه سيريق دمه!

2- شهيد العيد:

حيث تحدّث عن خروف وأضمر من يكون؟! حتى إذا ما اشتدّ شوق القارئ لمعرفة من هو الضحية؟ يتفاجأ بأنه خروف ذُبح ليلة العيد! ولكن كل هذا سبك بصياغة أدبية فكاهية جذابة، كان مما قاله في ذلك: " ... ذلك أن المسكين الشهيد كان خروفا من خرفان الضحية، وأن القاتل كان جزّار الحارة، وأن الناس شاركوه في جرمه، فأكلوا لحم الذبيح مشويا ومقليا ومطهيا وأكلتُ معهم، ونسيتُ من طيب اللحم هذا المشهد.[1]".

ثم يؤكد بعد ذلك كيف أنّ هذه سنة الحياة يموت المسكين – الخروف– حتى نستمتع نحن بأكلات طيبة، فتلك قصة ابتكرها الكاتب وأجاد في حبكها بهذه الصيغة الفكاهية الشيقة!

---

(1) خليفة، فن الفكاهة، (15).

(2) ينظر: الضمور، السخرية والفكاهة، (22-23). بتصرف يسير.

(3) الطنطاوي، صور وخواطر، (100).

(1) الطنطاوي، صور وخواطر، (92).

3- أعرابي في سينما:

وكان هذا الموضوع من بين أكثر فكاهات الطنطاوي إضحاكا، بل إن ذلك الأعرابي جاء من البادية إلى المدينة، وكأنه رجل خرج للتو من كهفه، كلّ ما يراه غريب ولا يفهمه ويثير دهشته واستغرابه.

فما بالك حين يذهب هذا الأعرابي إلى (السينما) تلك التي لم يرها في حياته البتة! حيث يقول الكاتب عن هذا الأعرابي وهو يحاول دخول (السينما) :" ... فوثبتُ فأصبتُ بقدمي وجه رجل ممن كان هناك، فما باليته وقلتُ سأعتذر إليه، وقد رأيتُ أهل المدن يؤذون إيذاء العدوّ، ثم يعتذرون اعتذار الصديق، وأدخلتُ رأسي في الكوة، فصاح السجين صياحا أرعبني والله، شبّهته بصراخ كلب ديس على ذنبه، وأجلب الناسُ، وطفقوا يشدون برجلي وثيابي، وأنا أرفس رفسا لا أبالي موقعه من أجساد الناس، والسجين اللئيم الذي أحسنتُ إليه يدفع برأسي ويشدّ بشعري، ولم يكن عضو من أعضائي إلا وهو مشغول، فيداي أتمسك بهما، ورجلاي أذود بهما عن نفسي...[2]".

ويسترسل الكاتب بعد ذلك في سرد قصة الأعرابي الذي كان وجوده مزعجا لكل من ارتاد (السينما) ذلك اليوم، بالأسلوب الفكاهي ذاته.

4- في الترام:

ومن أبرز المتناقضات التي صورها الطنطاوي في كتابه – صور وخواطر – تلك التي رآها في (الترام)، فتناولها تناولا قد يراه البعض مؤذيا إلا أنه يحمل في طياته الدواء لتلك الأدواء التي شاهدها، إذ ينطبق عليها قول الناقد: "وقد تكون (الفكاسخرية) مُرّة، وموغلة في الألم عندما تتناول الجانب المتجهم في المجتمع، ولكنها تثير الضحك أو الابتسام على أقل تقدير... وفي نفس الوقت تطهّر النفس من أدرانها التي قد تعلق بها من آن إلى آخر...[3]".

فها هو الكاتب يصور حال تلك المرأة التي تجرّ صغارها غير مبالية بما تحدثه من إيذاء للآخرين في (الترام)، فنجده يقول:" وهذه امرأة ضخمة عريضة القفا، تصعد ومعها ولد على ظهرها، وولد في بطنها، وولد تسحبه بيدها، وسلة كبيرة فيها سمك وبصل وكرّاث، فتقعد على الأرض فتشغل مكانا يقف فيه عشرة رجال، ثم لا تزال تسبّ هذا؛ لأنه داس على ثوبها، وتشتم ذاك لأنه مسّ ولدها...[1]".

ويمضي على هذا النسق في التصوير والفكاهة التي تجعل القاريء يمجّ أمثال هذه التصرفات التي تنمّ عن نفوس غير مبالية!

5- أنا والإذاعة:

وهنا يسرد الكاتب قصته في مبنى الإذاعة حين دخله لأول مرة، حيث كان مندهشا كل الدهشة مما يرى! فيقول من بين ما قاله واصفا حاله:" قلت في نفسي: أعوذ بالله من شرّ هذه الغرفة ! لقد حسبتها سجنا مغلقا فإذا هي مارستان! أأكلم علبة؟ أمجنون أنا؟ ونظرت في المرآة فوجدتُ صورتي متغيرة .. أهذا أنا؟ وأمعنتُ النظر، فإذا الذي حسبته مرآة لوحٌ من زجاج بيننا وبين الغرفة الأخرى، فنحن نرى من فيها ولكن لا نسمع أصواتهم، فاجتمعت عليّ هذه الليلة المتناقضات...[2]"، ويمضي الكاتب في وصف ما هو فيه من ورطة داخل هذا المبنى وزاد من ورطته أنه لا يعرف بأي موضوع سيتحدث إلى مستمعيه.. أيتحدث في الدين أم الأدب أم السياسة أم الفلسفة وهنا ينهي حديثه مع المستمعين دون الحديث عن موضوع محدد.

إلى أن يقول في آخر مقالته:" هذا، وأنا لا أدري هل يدفعون لي أجرة، أم أنهم سيكتفون بشكري الجزيل...

(2) المرجع السابق، (108).

(3) خليفة، فن الفكاهة، (15).

(1) الطنطاوي، صور وخواطر، (135).

(2) المرجع السابق، (231).

ولا تعجبوا – يا سادة – فكل الناس تاجر يعرض بضاعته، ونحن معشر الأدباء بضاعتنا الكلام، وكل كلام له ثمن، فهاتوا كثيرا تسمعوا جيدا، وإلا البضاعة كلها من هذا النوع![3]"، فها هو غير مقتنع بما قدّمه من مادة، ولكن أمتع جمهوره بهذا الإلقاء الفكاهي الطريف الذي ما إن تقرأه لا تملك إلا أن تسترسل في قراءته.

6- فلسفة العيد:

هنا يتحدّث الأديب الطنطاوي عن تورطه في استجلاب موضوع يتحدث فيه للإذاعة ليلة العيد، فها هو يصارح جمهوره حيث أخبرهم بأنه تفاجأ بظرف قد وصله من رئيس تحرير صحيفة البلاد آنذاك، يطلب منه مقالا وفي الفلسفة تحديدا!

وبعد أن قطع شوطا في مقاله متحدثا عن الفلسفة وغرابتها، واندهاشه مما يرد عن بعض الفلاسفة، يسأل جمهوره إن كان يريد فلسفة؟ ويخلص به المقام إلى فلسفة رآها مناسبة للعيد وهي: " ... وكيف نقول لمن نلقاه: كل عام وأنتم بخير، وما نحن بخير هذا العام، ولا كنا بخير العام الذي قبله؟! ولو أنه لا يجوز اليأس لقلت إننا لا ننتظر أن نكون بخير العام الذي بعده، فلا تقولوا (كل عام وأنتم بخير)، ولكن قولوا لمن تلقونه في هذا العيد: ما كل عام وأنتم بشر.

فهل تكون هذه هي (فلسفة العيد)؟[4]".

ومما سبق نعلم بأن الطنطاوي – يرحمه الله – لم يؤلف مقالا من مقالاته لغرض الفكاهة وإنما الفكاهة تأتي عفو الخاطر وهذا ما زادها رونقا وبهاءً.

ثانيًا/ سماتها الفنية:

أ/ التناسب اللغوي:

لدى الطنطاوي ملكة لغوية تنساب في تصوير الموقف الفكاهي انسيابا أخاذا، فلا يأتي إلا بلغة مناسبة لوصف الموقف الفكاهي الذي يريد سرده.

كما جاء في وصفه الزحام الشديد الذي لفت انتباهه يوم العيد – متحدثا عن نفسه–حين قال: "... فإذا أنا بحشد عظيم من الناس قد احتشد حيال دكان، فدفعني الفضول إلى معرفة الخبر، فأقبلت أدفع الناس بكتفي، وأشق طريقي بيديّ كلتيهما وأطأ أعقاب الناس، وأقدامهم، وأصغي إلى هذا الفيض العجيب من ...النثر الفني... الذي جادت به قرائحهم، فتدفق عليّ من ألسنتهم، حتى بلغت المشهد ونظرت...[1]".

هكذا تأتي لغة الطنطاوي في سرده للمواقف الفكاهية، فهو يصيغها صياغة سهلة وواضحة وقريبة لا تحتاج إلى كبير عناء لفهمها والاسترسال معها.

ب/ الصورة الفنية جيدة الإخراج:

لا أخال الطنطاوي إلا كاتبا أوتي من القدرة التصويرية الكاريكاتورية ما لم يؤتَ غيره –حسبما أرى– ولعلّ هناك عدة أسباب تقف وراء ذلك، فطبيعة الطنطاوي طبيعة مرحة يحمل روح الفكاهة والدعابة، أضف إلى ذلك كثرة ما كان يراه في مجتمعه من تناقضات عجيبة، كان للمستعمر اليد الطولى في جلب كثير منها.

كما أن كثرة تنقلات الكاتب وأسفاره جعلت منه إنسانا ثريا في تجاربه وثقافاته.

ها هو ينقل لنا صورة فنية كاريكاتورية غاية في الجمال والدعابة عن ذلك الأعرابي الذي يُسمى بـــ (صلَبي) حينما ذهب إلى (السينما) فبعد عدة صورة فنية جميلة الإخراج يصل الكاتب إلى وصف الأعرابي حين أراد الجلوس في صالة السينما حيث قال على لسانه :" ... وإذا بعضهم يولّي بعضا دبره، فقلت: ما ألأم أهل المدن! والله وما كنت موليا مسلما ظهري إلا في الصلاة،

(3) المرجع السابق، (236).

(4) المرجع السابق، (365).

(1) الطنطاوي، صور وخواطر، (90).

وعمدتُ إلى الكرسي لأديره فإذا هو مثبت في مسامير من حديد، فتركته واستدرت أنا، فجلست على قفاه، وجعلوا يضحكون مني، فما ألقي لهم بالا، حتى جاءت امرأة، فجلستْ قبالتي، فقلت: يا أمة الله استتري. فأقبلوا يزبرونني، وإذا هي –فيما قالوا – شاب وليس امرأة، فجعلت أعجب ...[2]".

فالكاتب هنا –تماما –كمن يحمل كاميرا يديرها من هنا وهناك حيث ينقل لنا الصورة وكأننا نراها، وبمهارة كتابية ينتقل بالقارئ من مكان إلى مكان وهو في غاية المتعة والشوق لمعرفة المزيد.

وهذا تصوير فني آخر يجيد فيه الكاتب حين صور حال الأعرابي بعد أن أُطفئتْ أنوا ر السينما حيث يقول على لسان الأعرابي: " ... وإذا بالأنوار تنطفئ، وإذا بالخيل تهجم علينا مسرعة حتى كادت والله تخالطنا. فقلت: لك الويل يا صلبي، ثكلتك أمك، إنه الغزو فما قعودك؟! وقفزتُ قفزاتي في البادية، وصرختُ وهجمتُ أدوس على أجساد الناس وهم يضجّون ويصخبون، فلما كدتُ أبلغ الخيل اشتعلت الأنوار وفرّ العدوّ من خوف بطشي هاربا، وجاء عبيد السلطان؛ ليخرجوني فردّهم عني صاحبي وكلمهم...[1]".

فذلك الـــــعراك وهذا الصخب نقله إلـــينا الطنـــــطاوي كأنما يحـــــــدث هو الآن، مع فارق الزمـــــان والمكان! وما من شـــك في أن الطنطـــــــــاوي يهتم بالتـــــــــفاصيل التي تخـــدم الصورة وتدعم المـــوقف الفـــكاهي؛ وإلا لما كـــان لها هذا التمكّن وهذا الـــــنجاح.

فجلاء الصورة الفنية وإجادة إخراجها مطلب من أهم مطالب الكتابة الفكاهية، أيّا كان موضوعها، وهذا ما كان يراعيه الأديب الطنطاوي في كتابته التي تحمل حسّ الفكاهة والدعابة.

ج/ فكاهة هادفة:

كان الطنطاوي يحمل همّا تربويا وهدفا دينيا، فلا نجده يتحدّث إلا فيما يخدم أفراد المجتمع إما بالنصائح والتوجيهات الأبوية الحانية، أو التأكيد على الأصول والمبادئ الدينية السمحة التي جاء بها القرآن الكريم وحثنا عليها الرسول الكريم محمد بن عبد الله _صلى الله عليه وسلم.

وليس أدلّ على ذلك من حديثه عن المتناقضات التي شاهدها في (الترام) أذكر منها قوله: " ... وكان مزدحما يغصّ براكبيه، فلا تبصر لون أرضه، ولا تعرف من الازدحام طوله وعرضه، وكان على المقعد إلى جنبي شيخ مُسن... وكان معه لبن سائل في صحت ضحل لا غطاء له ولا قعر، فكلما اهتزّ الترام أو تحرك الناس، طار رشاشه على ثوبي الذي كنت أتجمّل به أيام الحرب، ولا أجد وأنا موظف السبيل إلى غيره، فكنت أضم ثيابي إليّ، وأحاول أن أبتعد عنه، ليدرك أذاه لي فيدفعه عني، فلا يدرك ولا يبالي، فقلت له: يا عم.. قد آذيتنا ولوّثتنا بالحليب، فما كان منه إلا أن صرّخ تصريخا جمع عليّ أهل الترام، وقال: اتق الله ما هذا الكفر؟! ... ألا تعرف قدر النعم؟ إنه حليب طاهر، هل هو نجاسة؟ حرام عليك...[2]".

حيث يقول بعد ذلك بعبارات توجيهية محبّة يحاول من خلالها معالجة ما رآه:" ... فرأيتُ في ذلك عيبا آخر من عيوبنا، إننا نأخذ المسائل مقلوبة، ونفهمها على أضدادها، فلا الشـــيخ فقه الدين وعرف الحـــــلال والحرام، قبل أن يعظ ويفتي ...[3]"، ويمضي في تفسير ما رآه بكل حيادية كاشفا عن العيوب، موجها ومعلما بعبارات رقيقة ذات حسّ فكاهي لعلّ المجتمع يلتفت إلى تلك الأدواء الاجتماعية؛ فيعمد إلى علاجها.

(2) المرجع السابق، (109).

(1) الطنطاوي، صور وخواطر، (110).

(2) المرجع السابق، (130–131).

(3) المرجع السابق، (131).

حيث يؤكد الكاتب قبل ختام مقاله على شيء مهم يدعو الناس إلى الانتباه إليه حين قال:" وفي الترام دليل طباع كل قطر، وموذج حياته...[4]"، فكأن لسان حاله يقول: أيها الناس قدموا أروع الصور وأجملها عن ذواتكم وبلادكم.

د/ ترابط الأفكار وتسلسلها:

إن دعامة الأدب أفكاره التي تترجمها الألفاظ، والشيخ الطنطاوي يميل إلى وضوح الفكرة، والتدرج بالقارئ بطريقته الخاصة، حيث لا بتر ولا مفاجأة أو حتى إملال للقارئ.

فالكاتب الحاذق هو الذي يحرص أن تكون " كلماته وعباراته والأفكار التي تعرض له، موجهة كلها لإبراز الفكرة الأساسية وإيضاحها[1]".

فسمة ترابط الأفكار ووضوحها وتسلسلها في ذهن القارئ من أهم ما يميز الكاتب – الطنطاوي- وخير مثال على ذلك حيثه عن الخروف الذي ذُبح ليلة العيد؛ حيث يذهب ذهن القارئ إلى أن الضحية رجل ضعيف مغلوب على أمره فإذا هو خروف ذبحه جزار ماهر، كل ذلك يورده الشيخ الأديب بتسلسل رائع للأفكار فلا تقتحم فكرة مكان أختها، ولا يأتي بعنصر المفاجأة اللامعقول أو غير المنطقي، مما أكسب كتاباته كثيرا من الوضوح في الأفكار التي تسعى هي الأخرى جاهدة لكشف ولخدمة الفكرة الأم[2].

ه/ العاطفة:

العاطفة هي الحالة الوجدانية الصادقة التي تدفع للعمل الأدبي الناجح، وهي نقطة البدء في أي فن من فنون الأدب، فالأديب ينشئ عمله الأدبي لينفس عن عاطفته ولكن بصورة تثير في نفس المتلقي الإحساس ذاته عند الأديب.

وعاطفة الطنطاوي في كتاباته جلها عاطفة صادقة، وإن كنتُ ممن يذهب إلى أن تحريك العاطفة لدى المتلقي في النصوص النثرية يحتاج إلى كبير دراية وذكاء وعبقرية، وهذا ما يحسّه القارئ في نصوص الطنطاوي النثرية، وإلا لما وجدنا هذا التأثير وذاك الانجذاب لقراءة كل ما يسطره يراع هذا الكاتب.

فالطنطاوي شيخ يتصف بالصدق في عواطفه التي هي السبب في بناء أعماله الأدبية التي تنضح بالعاطفة الصادقة المؤثرة.

والطنطاوي يحرص تمام الحرص على أن يثير انفعال الناس بما يكتبه، فهو يدرك تماما ضرورة أن يكون العمل الأدبي " تعبيرا موحيا مثيرا للانفعال في نفوس الآخرين[3]".

ولا يشكّ عاقل بأن عاطفة الطنطاوي عاطفة إسلامية نبيلة، يحكّم فيها عقله وما وهبه الله تعالى من منطق، فلا هو ينساق وراء عاطفته ناسيا أو متناسيا ما يمليه عليه عقله، وهذا عين الاتزان الذي نطلبه من الأديب، وبخاصة مَنْ يكتب كتابته بهدف النقد والتقويم والتربية.

ومثال ذلك قوله فيما يعانيه الأديب عند الكتابة:" ... أخذتُ قلمي وصحيفتي لأكتب فسدَّتْ عليّ أبواب القول ومنافذه وكواه.. وعدت مرتجا عليّ محبوسا لساني كأني ما مارست الكتابة قط، وكذلك نفس الأديب يا سادة تتفتح تفتّح الينبوع الدفاق، ثم تشحّ شحّ الصخرة الصماء ما تبض بقطرة ماء...[1]".

وتلك عاطفة صادقة يصارح الكاتب من خلالها ما يعانيه الكاتب عند الكتاب، فهو ليس كما التاجر يخرج بضاعته من دكانه متى شاء.

---

(4) المرجع السابق، (136).

(1) محمد عوض، فن المقالة، (65).

(2) ينظر: الطنطاوي، صور وخواطر، (88– 92). بتصرف يسير.

(3) سيد قطب، النقد الأدبي، (15).

(1) الطنطاوي، صورة وخواطر، (88– 89).

و/ مراعاة المُثل والأخلاق:

كان الطنطاوي – يرحمه الله – بعيدا عن الفحش في القول، فلا يأتي بكتابته فضلا عن الفكاهية منها بما يمجه الذوق أو يترفع عنه الإنسان النبيل، بل إنه عُرف حتى في حديثه الشفوي الإذاعي وبين أصحابه ببعده عن بذئ الكلام وماجن الألفاظ.

كانت عباراته مهذّبة لا تؤذي سليم الذوق، ولا صاحب الحياء، ولا الشيخ الوقور الحكيم.

وهذه نتيجة بدهية لما تربى عليه الشيخ الطنطاوي، وتعلّمه في فصول الدرس والتحصيل، فأسرة الشيخ أسرة علم وخير وفضل.

ومن هنا نجده بعيدا عن الفكاهة التي توحي بشيء من الغرور والتعالي أو التكبّر؛ فليس هدف الشيخ إظهار ذاته أو التعالي على أقرانه أو التكبّر على من حوله.

ها هو يتحدث عن نفسه مثلا:" إذن أنا فيلسوف حقا ...، ولم يبقَ علي لأستكمل شروط الفلسفة كلها إلا أن أُطيل شعر رأسي وأركب على حمار أبيض...

وهذا سهل فتطويل الشعر يوفر أجرة الحلاق، وركوب الحمار يغني عن السيارة ومشاكل السائقين، ولكن كيف أتفلسف في الكلام على العيد؟![2]".

وفي مثل هذا التواضع والبعد عن فاحش القول يمضي الطنطاوي في فكاهاته الهادفة الموجهة إلى عموم قرائه ومتابعيه.

ز/ الحوار:

ما من شكّ في أنّ الطنطاوي أوتي ملكة لغوية ومقدرة بنائية في صياغة الحوار السلس الذي يخدم النص والفكرة.

حيث جاء الحوار في نصوص الطنطاوي الفكاهية، حوارا مناسبا للموضوع الأم، تمّ بناءه واختيار ألفاظه بصفة مبدعة فلا القارئ يمل ولا المتلقي يأنف عن متابعة الموقف، إليك هذا النص الذي يكشف إلى حدّ كبير السمات الحوارية في نصوص الطنطاوي الفكاهية، " ولكن خبّروني أولا: هل تسمعون كلامي حقيقة؟!

أما أنا فلا أصدق أنكم تسمعون مني، وكيف يسمع من هو في المهاجرين وحمص وحلب والقاهرة وطهران ما لا يسمعه هذا الأخ الجالس أمامي وراء الزجاج؟! والذي يبدو عليه أنه لا يدري ماذا أقول، فلا يبتسم ولا يعبس ولا يفتح عينيه، ولا يرفع حاجبيه...

فإذا كنتم تسمعون –يا سادة – كلامي، فأشيروا إليّ أو صفّقوا، أو قرّبوا أفواهكم من (الرادّ) وصيحوا، إني أنتظر فلم أسمع صيحتكم...[1]"، وهذا كما نراه حوار من طرف واحد، من الشيخ لمتابعيه عبر المذياع، فهو يحاورهم ولا يستطيع سماع ردودهم من هنا تملّكته الدهشة والاستغراب!

وها هو في حواره الآخر الذي يتحدّث فيه عن الأعرابي الذي دخل الحمام :" ... فلم نكد نتوسطها حتى وثب إلينا أهلوها وثبة رجل واحد، يصيحون علينا صياحا غريبا، فأدركتُ أنها مكيدة مدبّرة، وأنهم يريدون اغتيالي، فانتضيتُ خنجري وقلت: والله لا يدنو مني أحد إلا قطعتُ رقبته، فأحجموا وعجبوا ورعبوا، وغضب صاحبي وظنني أمزح، ومال عليّ يعاتبني عتابا شديدا، فقلت له: ويحك أو ما تراهم قد أحاطوا بنا؟!

قال: إنهم يرحبون بنا ويسلّمون علينا، فسكتَ ودخلت...[2]".

فهكذا هي سلسلة الطنطاوي السردية الحوارية تمضي على هذا النسق التعبيري السهل الواضح الممتع الذي يناسب موضوع الحكاية.

---

(2) المرجع السابق، (362).

(1) الطنطاوي، صور وخواطر، (232).

(2) المرجع السابق، (98).

ولم يأتِ ذلك من فراغ بل إن الطنطاوي مدرك لمدى أهمية الحوار في القص والحكاية وبخاصة الفكاهية منها، وما ذلك إلا ثمرة لكثرة اطلاعه وقراءاته للجاحظ وأمثاله من الكتّاب الذين عرفوا بالقص الفكاهي الذي ينعم بكثير من الجمال الإبداعي والبيان اللغوي.

2- تأثيرها في القارئ:

لا شكّ بأنّ صاحب الفكاهة شخص محبوب قريب من النفوس، يطمع الناس في مرافقته ومجالسته:" والشخص الفكه أو صاحب الحسّ الفكاهي عادة ما يوصف بأنه إنسان اجتماعي ترجى مصاحبته، والفكاهة تزيل الكلفة وتذهب التصنع بين الأفراد، وتستعمل لجذب اهتمام الآخر[1]"، ومن المعلوم أن الإنسان المتكبر لا يؤثر في الناس ولا يستميلهم، بل إنه ينفرهم ولا يكسب قلوبهم.

ففي نظري أنّ أول مطلب لا بد أن يعتني به الأديب أيّا كان هو كسب جمهوره وتوده لهم، وتلمس اهتماماتهم، عندئذ سيكون باب التأثير مفتوحا على مصراعيه كما الكاتب –الطنطاوي.

فالكاتب لا يصل إلى قمة التأثير بالقارئ إلا عندما تكون الكتابة أيّا كان موضوعها نابعة من القلب، فالذي ينبع من القلب يستقر في القلب – وهو الصدق الفني – صدق الشعور الذي يمليه الكاتب إلى قرائه يحدّثهم وكأنه أمامهم يهمس إلى قلوبهم ومشاعرهم.

ليس هناك أصدق من تأثير الكتابة التي يرسلها الأديب من فؤاده حاملة مشاعره الصادقة إلى قرائه الذين يتلقفونها بكل سعادة وفرح وابتهاج.

فقد قدّم الطنطاوي أنموذجا للأديب الفكاهي الذكي العبقري، الذي مكنته قدراته الذهنية والثقافية العالية وخبرته العميقة في الحياة النجاح والتأثير في تقديم فكاهاته النقدية التقويمية.

تؤثر فيهم أحسوا بذلك أم لم يحسّوا مربط الفرس هو أن يظهر هذا الشعور على أفعالهم، وأقوالهم التي يردّدونها في حديثهم مع الناس.

جاء الطنطاوي في زمان تعلّقت فيه القلوب بـــالتلفاز، وآذانهم بالمذياع وأعينهم بالقراءة، فكان له جميل الأثر على أولئك المشاهدين والسامعين والقراء، وليس من كبير عجب أن تستحوذ شخصية الطنطاوي على إعجاب كثير من فئات المجتمع من أعمار وطبقات مختلفة.

شخصية نجحتْ في إبعاد الناس عن شظف الحياة الواقعية الجادة، ونقلتهم إلى عالم من المرح والتفكه والدعابة، فهو – يرحمه الله – ذو شخصية فكهة بسيطة لا تميل إلى التصنع والتكلف بأي شكل من أشكاله؛ حتى يُخال إلى المرء وكأنه في حلم سعيد لا يريد له نهاية.

لننظر إليه في (الترام) إذ يقول من بين ما قاله:" وهذا رجل يأتيك من خلفك وأنت واقف في زاوية الترام، يرجوك أن تفسح له ليمرّ، فإذا انزحتَ له أخذ مكانك وتركك حائرا لا تدري أين تقف!

وهذا عامل بثيابه الملوّثة بالزيت المعدني، أو الملطخة بالطين.. يحتكُّ بك وأنتَ بثيابك البيض فلا يدعك حتى ينقل إليك زيته وطينه، فإن تكلّمتَ؛ قال: (ليه؟ هو احنا مش بني آدم؟!...[2]".

فهلم إلى فكاهات تقتبس من فكاهات – الطنطاوي – نسقها وبناءها وإبداعها وتأثيرها، فللأدب أهله وخاصته ومنهم هذا الكاتب الموهوب والقاص المبدع المشهود له بالكفاءة والبيان.

الخـــاتمة

(1) الشايب، أبحاث في الضحك، (83).

(2) الطنطاوي، صور وخواطر، (135).

قدّمت في هذا البحث – ولله الفضل والمنّة – بفصوله الأول والثاني، دراسة أدبية تطبيقية حول الفكاهة في كتاب (صور وخواطر) للطنطاوي، فجاء التمهيد معرفا بالطنطاوي من حيث: اسمه ومولده وتعليمه وأعماله ووفاته وشيئا من آثاره.

ثم ذهب الفصل الأول من خلال مبحثه الأول يناقش الفكاهة لغة واصطلاحا، والفرق بين الفكاهة والسخرية.

أما المبحث الثاني فجاء مناقشا للفكاهة المستحسنة، وأبرز الدوافع التي دعتْ الطنطاوي إلى التفكه في كتابته .

فيما تركتُ الفصل الثاني بمبحثه الأول للفكاهة عند العرب، وأنواع الفكاهة، والفكاهة من حيث التركيب والصياغة، ثم الفكاهة من حيث فكرتها.

أما المبحث الثاني فتركته لخصائص الفكاهة عند الطنطاوي، وتأثيرها على القاريء.

وخلصتْ تلك الدراسة إلى مجموعة خلاصات واستنتاجات ألخصها في الآتي:

1- لا تزال الساحة البحثية في الأدب وفنونه بحاجة إلى العديد من الدراسات التي تكشف أسبار الفكاهة وخصائها وبخاصة في الأدب السعودي .

2- نصوص الفكاهة تكشف العديد من جوانب الشخصية لدى الأديب، كما أنها خير معين على الاطلاع على طبيعة العصور وعادات وتقاليد الشعوب.

3- فكاهة الطنطاوي جاءت للنقد والإصلاح الاجتماعي ولتصحيح الأخطاء الخارجة عن القيم الفكرية والثقافية للمجتمع- وهذه في نظري من أجلّ وظائف الفكاهة.

4- الفكاهة لصيقة بفني الشعر والنثر، ولكن إبداع الأديب في صياغتها هو المحك، إذ عليه يكون ميل القراء لتلقيها شعرا أو نثرا.

5- لا يمكن أن تؤدي الفكاهة دورها في التوجيه ما لم تكن سهلة مقرّبة للنفوس، بعيدة عن التعالي والكِبْر.

6- تحتاج الكتابة الفكاهية إلى ذكاء وقّاد وبعد نظر وسرعة إدراك للمتناقضات، إلى جانب حسن الصياغة والتركيب والتصوير.

7- يعد كتاب الطنطاوي (صور وخواطر) من الكتب التي تسهم في فهم المجتمع، وسبر أغوار الكاتب، واستجلاء فكره وقناعاته.

8- الحس الفكاهي لدى الطنطاوي جاء من طبع وتطبع، فآزر كل منهما الآخر.

9- للطنطاوي أسلوبه الخاص في الفكاهة عبارة عن أسلوب حُرّ فيه انطلاق وقدرة على الصياغة وتحقيق الهدف من خلال ذكاء وفطنة.

10-لم تكن فكاهة الطنطاوي خاصة بفئة معينة من فئات المجتمع، وإنما كل ما وقع عليه نظره من متناقضات يصلح أن يكون موضوعا للفكاهة.

11-كتاب صور وخواطر لم يؤلفه الطنطاوي لغرض الفكاهة البتة وإنما جاءتْ فيه الفكاهة الهادفة عفو الخاطر، ناقدة ومقوّمة.

وبعد فقد حاولتُ جاهدة في هذه الدراسة أن ألخص طبيعة الفكاهة عند الأديب الطنطاوي، وأهم ما امتازتْ به؛ لتكون أنموذجا في الكتابة يحتذى، فإن أصبتْ فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، سائلة الله أن لا يحرمني أجر من اجتهد إنه نعم المولى ونعم النصير.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الحوفي، أحمد محمد. (د.ت)، الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها. (د.ط)، القاهرة. دار نهضة مصر للطبع والنشر.
2. خربوش، حسين. (د.ت). أدب الفكاهة الأندلسي. (د.ط). عمّان. جامعة اليرموك.
3. خليفة، أحمد عبد المجيد. (د.ت). فن الفكاهة والسخرية عند شعراء مصر المملوكية. (د.ط)، (د.م). المكتبة الأزهرية للتراث.
4. الزيد، عبد الله محمد. (1404ه- 1984م). من روادنا التربويين المعاصرين. (د.ط). (د.م). (د.ن).
5. السطوحي، سها عبد الستار. (2007م)، السخرية في الأدب العربي الحديث. (د.ط)، القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. الشايب، أحمد. (1434ه- 2013م). أبحاث في الفكاهة والسخرية. ط1. الرباط، فريق البحث في الفكاهة والسخرية في الأدب والثقافة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير.
7. ذكريات علي الطنطاوي. ط1. (1405ه- 1985م). جدة. دار المنارة للنشر.
8. ذكريات علي الطنطاوي. ط2. (1409ه- 1989م). جدة. دار المنارة للنشر والتوزيع.
9. ذكريات علي الطنطاوي. ط5. (2007م). جدة. دار المنارة للنشر والتوزيع.
10. الضمور، نزار عبد الله خليل. (1433هـ - 2012م). السخرية والفكاهة في النثر العباسي. ط1، عمّان. دار الحامد للنشر والتوزيع.
11. الشايب، أحمد. (1431هـ - 2010م). أبحاث في الضحك والمضحك. ط1. (د. م) . دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
12. الطنطاوي، علي. (1424هـ- 2—3م). صور وخواطر. ط5. جدة. دار المنارة.
13. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (1407ه- 1987م). القاموس المحيط. ط2. بيروت. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
14. قزيحة، رياض. (1418ه- 1998م). الفكاهة في الأدب الأندلسي. ط1. صيدا- بيروت. المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
15. قطب، سيد. (1415هـ - 1995م). النقد الأدبي أصوله ومناهجه. (د. ط)، بيروت – القاهرة. دار الشروق.
16. محمد، عوض محمد. (1959م). محاضرات عن فن المقالة الأدبية. (د. ط)، (د. م)، (د. ن).
17. آل مريع، أحمد بن علي. (1428ه- 2008م). علي الطنطاوي كان يوم كنت. ط1. الرياض. شركة العبيكان للأبحاث والتطوير.
18. ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون. (د.ط)، (د.م). دار المعارف.
19. نصّار، نواف. (1432ه- 2000م). معجم المصطلحات الأدبية. ط1. عمّان. دار المعتز للنشر والتوزيع.